المكان في روايات شوقي كريم

أ.د صفاء عبيد حسين الباحثة غفران فاضل حديد

توطئة:-

يعدُّ المكانُ مركزاً حياتياً يتواصل بموجبه الأنسان، ويخضع لترسيماته، وإذ لم يكن التفاعل بينهما، تغدو الحياة ضرباً من المحال وقد أستسقى الفنان -والاديب منهم- تجاربه من صلب واقعه و

بذلك يشكل المكان جزءاً اساسياً من جملة عناصر ،تساهم في تشكيل العالم الروائي ،فلا تقل أهميته عن عنصر الزمن ،حتى أننا لا"نكاد نعثر على رواية خالية منه، ولو بإشارة او تصريح إليه"[1]؛ لكونه يمثل المسرح أو الخلفية، التي تتحرك عليها الشخصيات وتجري فيها الاحداث [2]،التي لا يمكنها ان تقع دون مكان يحتويها ،حتى الزمن لا يمكن تجسيده أو الاحساس به دون التماسه من خلال حركة الشخصيات وتفاعل الاحداث داخل هذا المكان[3]فهما كلٌّ متكامل،"فالإنسان يسعى دائماً الى الارتباط بالمكان والاستقرار فيه، ومن ثم الانتماء إليه وتأصيل هويته، لذلك فإن اختيار المكان وتهيئته، يمثل جزء من بناء الشخصية البشرية، قل لي أين تحيا اقل لك من أنت"[4]وهذا ان دلَّ على شيء ،إنما يدل على الدور الكبير للمكان "في تكوين الانسان وسلوكه في بعده الاجتماعي"[5] بحيث اصبح "يؤسس احياناً علة وجود الأثر"[6]،اي يكون العلة من وراء وجود الرواية، وقد يتغلل عميقاً في التجربة الذاتية للإنسان، "فيرتبط بلحظته النفسية التي تمر بها الشخصية، فيضيق او يتسع او ينهار"[7]فهو لا يظهر اعتباطاً في الرواية، انما يتم اختياره بعناية من قبل الروائي من اجل اضفاء الصنعة المتقنة على النص، فتتم صياغته عن طريق اللغة ؛لكونه مكاناً لفظياً متخيلاً[8] وعلى الرغم من ذلك التخيل، إلا أنه يكتسب ملامحه واهميته من خلال تماهيه مع العالم الحقيقي خارج النص الروائي[9]،وللرواية انماط تتعدد على حسب الطابع النوعي للمكان في الرواية، فمنها الرواية الواقعية والتي تكثر من تقديم السمات المكانية للأيهام بواقعتيها، عكس الرواية الفانتازية ،التي يغلب عليها الطابع الذهني، إذ يسبغ طابع الاطلاق دون الإشارة الى التفاصيل0

---

(1)الخطاب الروائي النسوي ورؤية الواقع الاجتماعي ،هدى عماري،دار رؤية،ط1،مصر- 2020: 236 0

(2)ينظر،جماليات المكان في قصص سعيد حورانية،محبوبة محمدي محمد ابادي،منشورات الهيئة العامة السوري للكتاب،د.ط،دمشق-2011: 13 0

(3)ينظر،شعرية الخطاب السردي (رواية الأسود يليق بك)لأحلام مستغانمي،صهباء حازم الغضنفري،دار فضاءات،ط1،عمان- 2018: 113،و ينظر،عوالم تخييلية قراءات موضاعاتية في السرد،د.قاسم مقداد،منشورات اتحاد الكتاب العرب،د.ط،دمشق-2010 : 181 0

(4)استراتيجية المكان (دراسة في جماليات المكان في السرد العربي)،الدكتور مصطفى الضبع،الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط2،مصر-2018: 46 0

(5)مضمرات النص والخطاب(دراسة في عالم جبرا ابراهيم جبرا الروائي)،سليمان حسين :303 0

(6)عالم الرواية،رولان بورنوف وريال اوئيلية: 92 0

(7)الفضاء الروائي في ادب جبرا ابراهيم جبرا،ابراهيم جنداري:174 0
(8)النقد الادبي الحديث من المحاكاة الى التفكيك،ابراهيم محمود خليل،دار المسيرة،ط1،عمان- 2003: 0185
وينظر،خطاب الرواية النسوية المعاصرة(ثيمات وتقنيات)،رفقة محمد دودين،أمانة عمان،د.ط،عمان-2007: 299
وينظرُ،الرواية العربية الرؤيا والبناء،سمر روحي الفيصل: 072
(9)ينظر،البناء الفني لرواية الحرب في العراق ،عبدالله ابراهيم،دار الشؤون الثقافية العامة،ط1،بغداد-1988
:127 0

إمّا الرومانسية فتكون ذا طابع نفسي،مقترن بموقف شخصيات الرواية منه' ونتيجة لهذه الأهمية التي يتملكها المكان، اختلف النقاد والباحثون في دراستهم للمكان من حيث تعريفه وتقسيمه[1]،وأولى تلك الدارسات هي دراسة غاستون باشلار في كتابه(جماليات المكان)،حيث أكد على بيت الألفة في تعريفه للمكان في صورته الفنية "وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة ،أنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة وتشكل فيه خيالنا فالمكانية في الادب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة"[2]حيث ربط بين الشخصية والمحيط المكاني ،مؤكداً على المكان الأليف في الرواية[3] ،وثمة دراسة أخرى للمكان، للناقد الفرنسي(يوري لوتمان)، الذي يصف المكان بكونه "تجربة معاشه ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه فلا يوجد مكان فارغ او سلبي ،كما تنتج من التوظيف الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوى خاص على الناس الذين يلجؤون إليه"[4]، مؤكداً بذلك المكانة الاجتماعية للمكان من خلال علاقته بالشخصية، وهذا ذاته ما ذهب اليه ياسين النصير في تعريفه للمكان ،فله عنده مفهوم واضح، يتلخص بأنه "الكيان الاجتماعي، الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الانسان ومجتمعه، لذا فشأنه شأن اي نتاج اجتماعي آخر يحمل جزءاً من اخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه"[5] ،ويربط بعضها بالبعض روحياً وجسدياً وبحسب الظروف وبنيات الواقع ضمن إطار التواصل الانساني في المجتمع ،أي ان المكان لا يتشكل الا باختراق الأبطال له ويتحدد بحسب قاطنيه[6] فالمكان بهذا المفهوم يعد بعداً زاخر بالحركة، يتأثر بحركة الشخصيات، ويؤثر في أخلاق وعادات الشخصيات التي تتحرك في أرضه، كما يؤثر في المواقف التي تحدث في إطاره ،وفي مستوى الصراع الذي يدور في داخله[7]0

وبما أن الأماكن، تختلف بحسب رؤية الكاتب في الرواية، فمن الطبيعي ان يختلف تقسيم النقاد للمكان، على وفق قراءتهم لهذا الانتاج الروائي، فقد قسم بروب المكان الى الأصل والعرضي او الوقتي والمكان الذي يقع فيه الانجاز والذي سماه غريماس اللامكان[8]0

---

(1)ينظر، بداية النص الروائي(مقاربة لأليات تشكيل الدلالة)،احمد العدواني،النادي الأدبي بالرياض والمركز الثقافي العربي،الدار البيضاء،ط1،بيروت-2011: 16وينظر،خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة(ثيمات وتقنيات)،رفقة محمد دودين،أمانة عمان،د.ط،عمان- 2007: 299 0
(2)جماليات المكان،غاستون باشلار،تر،غالب هلسا: 6 0
(3)ينظر،التحليل البنيوي للرواية العربية،د0 فوزية لعيوس غازي،دار صفاء،ط1،عمان-2011: 214 0

(4)مشكلة المكان الفني،بقلم يوري لوتمان،تر،سيزا قاسم،ضمن كتاب جماليات المكان،مجموعة باحثين،دار قرطبة، ،الدار البيضاء،ط2،مغرب-1988: 63 0
(5)الرواية والمكان ج (2)،ياسين النصير،دار الشؤون الثقافية العامة،د.ط،العراق،بغداد-1986: 16- 017
(6)بنية الشكل الروائي، حسن بحراوي:29 0
(7)ينظر،بناء الرواية(دراسة في الرواية المصرية)،الدكتورعبد الفتاح عثمان،مكتبة الشباب،د.ط،القاهرة-1989: 0 59
(8)ينظر ،مدخل الى نظرية القصة،سمير المرزوقي وجميل شاكر:58-59 0

إمّا النقاد العرب فتعد دراسة غالب هلسا، من أبرز الدارسات النقدية، إذ قسّم المكان في الرواية العربية إلى مجازي وهندسي ومكان كتجربة معاشه[1] أما الناقد (ياسين النصير)فقد قسّمه إلى مفترض وموضوعي وذو بعد واحد[2]، و قسمه الدكتور شجاع العاني إلى(مسرحي وتاريخي وأليف ومعادي)[3]وهناك تقسيمات بعض النقاد على اساس التقاطبات الضدية مثل تقسيم حميد الحمداني[4]،وحسن بحراوي[5]،وإبراهيم جنداري[6]،وسنحاول تحليل المكان في الروايات المدروسة، والكشف عن الكيفية التي ظهرت فيها، وفق ما يقتضيه النص المدروس، إذ إن في الأعم الأغلب يكون اختيار "المؤلف للأمكنة في عمله الأدبي متأثراً بالأمكنة التي ينتمي اليها"[7]

-أنماط المكان-

انطلاقاً من التوطئة النظرية للمكان، لابد من تحديده في روايات شوقي كريم، بالتركيز على الجانب النفسي والشعوري والداخلي للشخصية، وليس على المكان نفسه ،من حيث انفتاحه وانغلاقه، "فطبيعة الحياة وارتباط الانسان بهذه الاماكن أو نفوره منها، هي التي توضح طبيعتها"[8]؛ لكون الذات البشرية داخل حدود ذاتها لا تكتمل، بل تنبسط خارج هذه الحدود؛ لتطبع كل ما حولها بصبغتها[9]،ولكي نحاط علماً بالدلالة الخلفية للمكان، اعتمدت تقسيم النقاد للمكان الروائي من حيث هو مكان مغلق ومفتوح على أن تقسيمنا لهذا الانغلاق والانفتاح يقاس وفقاً، لجغرافية المكان وحدوده الهندسية، وليس وفق ما هو معروف عن دلالة المكان المفتوح الذي عادة تكون "مقرونة بالحرية والسعادة والفرح،والحالة النفسية المستقرة،في حين يكون اقتران المكان المغلق يعاني الانطواء والعزلة والحزن او حتى الاضطهاد والتعب"[10]إذ يمكن ان يدل المكان المغلق على الاستقرار والفرح، وقد يدل المفتوح على العنف والحزن والكراهية، اي انهما "رهينا الحالة النفسية والشعورية لساكن المكان"[11]وسنوضح ذلك من خلال تحليل الروايات0

(1)ينظر المكان في الرواية العربية،غالب هلسا،مجلة الاداب،ع2،س 1980: 74-76 0
(2)ينظر،الرواية والمكان ،ياسين النصير:25-51 0
(3)البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان)، شجاع العاني،ج 2،دار الشؤون الثقافية العامة،ط1،بغداد- 2000: 33- 0135
(4)ينظر،بنية النص السردي،حميد الحمداني:72 0
(5)ينظر،بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي:43-104 0
(6)ينظر،الفضاء الروائي في ادب جبرا ابراهيم جبرا،إبرهيم جنداري:184-266 0

(7)بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ،عدي عدنان محمد،دار نيبوللطباعة والنشر،ط1،العراق-2011: 183 0
(8)جماليات التشكيل الروائي،محمد صابر عبيد ودكتورة سوسن البياتي:217 0
(9)مشكلة المكان الفني،يوري لوتمان:63 0
(10)الفضاء في روايات عبدالله عيسى السلامة،مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية،مج11،ع1، س2011: 202 0
(11)جماليات التشكيل الروائي، محمد صابر وسوسن البياتي:217 0

أولاً:الأماكن المغلقة:-

فهي الاماكن "التي تمده حدود جانبية وحدود سقفية، وتمدد مساحته ومكوناته كالبيوت والمدارس والجامعات والمستشفيات والسجون وغيرها"[1]وتكون معاكسة للاماكن الخارجية، فتمثل الانسداد والانغلاق، إنه يتصف بالتحديد ،الا ان ذلك لا يلغي انفتاحه على امكنة اخرى،فالغرفة المحددة المساحة،قد تنقلنا عبر جدرانها الى عوالم وأمكنة عديدة،وقد يكون ذلك من خلال الاثاث او الرسوم او المجسمات التي تحويها، ومن ثم تعطينا دلالة تفوق دلالتها المتداولة[2]،فيكون لها"دور بارز في رسم الخط العام في الفعل القصصي"[3] وأولى تلك الأماكن المغلقة:-

1-البيت:-

يمثل البيت كينونة الانسان الخفية، فهو مأواه، يحفظ ذكرياته ويتضمن تفاصيل حياته الأشد خصوصية،أي إنه يمثل مستودع ذكرياته،ويتصف البيت ولاسيما بيت الطفولة بأنه اشد أنواع الأمكنة ألفة[4]،فعندما يبتعد عنه يبقى محصوراً في ذاكرته،يستعيد ذكراه ويحن إليه،[5]وقد أكد (غاستون باشلار)على أهمية البيت،فهو يراه كوننا الأول في العالم،وإن الانسان بدون بيت يصبح كائناً مفتتاً[6]،على أنه من الخطأ كما يرى الدكتور شجاع العاني،النظر الى السمة الخارجية للبيت،كركام من الأثاث او الجدار وتحديد طوبوغرافيته ،بل يجب تحليل دلالته من حيث رؤية ساكنيه ووعيهم به[7]، فقد يضفي الانسان على البيت روحاً وحياة،ما ان يحل فيه،فبمجرد مجيء رسالة من السهرودي إلى والدته،التي طواها الحزن بعد غياب والدها في غياهب السجون،تحوّل البيت من مكان مهجور يسوده الحزن إلى بهجة وسرور**"ناولتها الورقة الدقيقة الكتابة تفحصت الخط مليا ومالبث فمها أن أطلق زغاريد مهولة ملأت المكان بصخب أعاد الحياة الى البيت الذي ظل مركونا في زاوية النسيان طول غياب المحب"[8]** فهي كانت تتمنى هذا الوصول، الذي يصاحبه تحول في المكان**"نامت مبسملة طامعة بوصول مفاجيء يشع في ثنايا البيت بهجة وتورد وامتناناً**

(1)المكان في رواية صبارو لشاكر المياح،علي حليبد شرشاب،مجلة لارك للفلسفةواللسانيات والعلوم الاجتماعية،مج2،ع41،س 2021: 061
(2)ينظر،دلالة المكان في رواية موسم الهجرة الى الشمال للطيب الصالح،أ.كلثوم مدقن،مجلة الاداب واللغات،جامعة ورقلة،الجزائر،ع4،س 2005: 141 0

(3)في الأدب الحديث ونقده(عرض وتوثيق وتطبيق)،عماد علي الخطيب،دار المسيرة،ط1،عمان- 2009: 94 0
(4)ينظر، البناء الفني في الرواية العربية في العراق(الوصف وبناء المكان)،شجاع مسلم العاني:99 0
(5)ينظر،تحليل النص السردي(تقنيات ومفاهيم)،محمد بو عزة،دار الأمان،ط1،الرباط-2010 :106 0
(6)ينظر،جماليات المكان،غاستون باشلار:36-38 0
(7)ينظر،بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي:45-46 0
(8)رواية كهف البوم ...ممر الياقوت:158 0

لزمن طويل"[1] وفي ذات الوقت ما ان يسجل الغياب حضوره،حتى يتحول المكان إلى مهجور،وهذا ماحدث مع الدكتورة نادية،حيث تحول بيتهم الى هيكل فارغاً بلا روح،بمجرد مغادرة والديها،**"المنيف الذي كانت الناس تسميه قصر الدكاترة، غدا خاوياً تدوم بين ثناياه ريح توجع الافئدة"**[2]فقد تحول القصر الى أشبه ما يكون قبراً،وهذا التحول نفسه، الذي أصاب بيت السهرودي بعد زواج كلثوم وسجن السهرودي ،يفرغ البيت من الأحبة وتبقى والدتهم وحيدة ،فتحسّ بانطباق جدران البيت حولها،**"يتحول البيت الى قبر، بارد ،جاف،عاجز عن تلبية احلام امراة عجوز بالية مثل بساط عتيق"**[3] وربما يذكي البيت مشاعر الحزن والأسى في نفس صاحبه،ويزيد من معاناته وآلامه،فيضاعف إحساسه بالقهر، حيث يكشف بناء المكان(البيت)، حالة بؤس وفقر ساكنيه**"تضم أحلامنا التي ألفها الفقر،ترمينا بيوت الأكثارالتي تشبه جحور الفئران الى طين الشوارع الكارهة لوجودنا،فنشعر ضياعنا،وتمتلىء بطوننا بالزعل ،والقلق نراقب أبواب البيوت الساكنة وخفايا القصور"**[4]فيجعلهم يفقدون القدرة على التحمل، الى درجة تمني الموت**"أتوسل ليجيء بيوت الطين وأضلاع الطابوق الناتئة مثل أسنان مكسورة...."**[5]

ومثلما حضور الشخصية يضيف البهجة للبيت،فإن هذا الحضور المصاحب للعنف الممارس من قبل احدى الشخصيات، يجعل البيت محاطاً بالضجر والعنف والانغلاق،مما يجعله ينزاح عن وظيفته الاساسية المتمثلة بالألفة والأمان،ففي رواية (جذال)،يقرربطل الرواية السفر وترك البيت؛ بسبب سلطة والده وغضبه المتكرر،و صراعه الدائم مع والدته،مما يجعله ينفر من البيت**"لايمكن لي ان أوجل سفري ولو يوماً واحداً من اجل بيت أكلتهُ العثة منذ زمان ما جدوى بقائي وسط ركام من الأغراض وجنتين متعفنتين لا هم لهما سوى البحث عن قبس ضوء يعيد لهما الحياة التي جفتهما"**[6] ،ونجد هذا الصراع نفسه في رواية(هتلية)،الأمر الذي يجعل البنت تحمل العداء للبيت،وتتمنى الخلاص منه بشتى الوسائل،**"لايمكن لواحدة مثلي، ان تحط حيثما تريد الاب العسكري ،والام الجنوبية التي ترى اليه بقدسية الصمت كنا يحددان مصير وجودنا كله،تقول اختي الفاتنة المهم ان نتخلص..لاشيء يجعلني احب البيت"**[7] ،وقد يصبح البيت غاية وحلم، يسعى الانسان للحصول عليه **"كل ما أحلم به واطلق عليه أفكار خلاص هو بيت يؤوي فقير او خبز يملأ**

(1)رواية كهف البوم ..ممرالياقوت:137 0
(2)رواية سيبندية:41 0

(3)رواية كهف البوم..ممر الياقوت:155 0
(4)روية شروكية:12 0
(5)م.ن:12 0
(6)رواية جذال:74 0
(7)رواية هتلية:68 0

افواه صغاره ورشفة ماء صافية"[1]وقد تكون المحبوبة التي تقطن هذا البيت، هي الغاية ،مما يجعله يمارس بعداً نفسياً ذاتياً **"قالت الروح كيف الوصول والبيت تحاصره البنادق"**[2] أو قد يكون البيت المأمن، الذي تحتمي داخله الشخصية،عما يحيط بها من شرور خارجية،مما يجعله يمارس ثيمته الرئيسة، إذ احتمت الدكتورة نادية بين جدرانه من بطش سلمان بن حفافة،**"قلت لكِ لن تفلتي مني وأنا قادم لن يحميك هذا القصر..أنتِ لي هذا ما قررته الاقدار وتراجعي صعب..حتى ان احلت البيت الى ركام.."**[3] ولجأت ميري الى البيت من أجل الحصول على الألفة، والقضاء على شعور الغربة،**"أخذتني الدروب الى حيث البيت الذي قلت إنه بيتك"**[4]فقد كانت تعيش في الكنيسة،ولكن بعد حملها تضطر الى تركها، فتعيش في حالة تيه،مما يجعلها تلجأ الى بيت والدة البطل من أجل الحصول على الأمان الذي تفتقده،**"رائحة البيت تذكرني بتلك الرائحة العجيبة التي كنت تسميها مسكناً"**[5] فأضحى البيت المنغلق الجوانب، بالنسبة لميري مفتوحاً؛ لكونها لم تسكن في بيت سابقاً، مما يجعلهُ يلامس دواخلها، وقد وصف الراوي التغيير الذي أصاب بيت طفولته بفعل الزمن،بعد عوته من رحلته في المدينة**"البيت لم يعد يشبه الخربة التي آوت طفولتي ،لم أرى غير انقاض من التعب والحزن والانتضار،عند مقدمة صالة الاستقبال، لقد صارت عندنا صالة أستقبال وكراسي وغرفة طعام ومناشف يد وعلب من الكريستال،كانت صورة الولد الذي كنته ذات يوم،ولد صبي بعينين تومضان غرابة،أنشدت أنفاسي إليه،وحاول رأسي تذكر انسانه، بماذا كان يفكر ذاك الصبي لحظة تجمد زمنه"**[6] فهذا التغيير يحمل بعداً دلالياً ،تمثل بتغيير الحياة الاجتماعية، وتحسين الواقع المعيشي، إضافة الى شعوره بالاستغراب؛ لكونه اختلف عما آلفه سابقاً0

سجل الروائي موقفاً سلبياً من بيوت المدينة،كما يسميها (بيوت الكونكريت)،**"بيوت الكونكريت تتشابه لكنها تثير القرف والكراهية،تبدو مثل قبور مهجورة، ليس ثمة مايحركها غير أحلامها المريضة ونوازع رغباتها التي نسحق المجون تحت قدميها"**[7] فعلى الرغم من هروبه نحوها ،إلا إنه لم يجد الألفة والطمأنينة في ربوع بيوتها0

فالبيت يعزز صفة الانتماء والهوية للمجتمع ، بوصفه اصغر وحدة اجتماعية ، ونقطة انطلاق

(1)رواية نهر الرمان ..تجربة موت:117 0

(2)م.ن:73 0
(3)رواية سيبندية:176 0
(4)رواية قنزة ونزة:54 0
(5)م.ن:57 0
(6)رواية شروكَية:164 0
(7)م.ن:211 0

الذات نحو البيئة الخارجية، ففي رواية (مداراليم)،طرد الجد ولده مع زوجته لعدم موافقته على زواجها كون الزوجة من بيئة مغايرة ،ولكن ما ان حملت الزوجة حتى عدل عن قراره**"ابنتي لا أريد لحفيدي ان يواجه ضوء الدنيا بغير باحة بيتي"**[1] فإصراره على ولادة الطفل في بيته ،إنما هو لرغبته بتأصيل ثقافة أجداده وعاداتهم ،لذا عدّ البيت رمزاً للهوية والتأصيل الموضوعي0

2-الغرفة (الحجرة)وأجزاءها:-

أكد ياسين النصير على أهمية الغرفة، كونها دالاً،وما تحتويه من أسرار مدلول[2]،فهي لم ترد اعتباطاً في الرواية،إذ لابد من ان تحمل دلالة ما ،وقد عرفها بقوله"بقع فوق أرض ،تحجب النور وتصنعه وتجعل لباحتها الصغيرة امكانية تعويضية عن الفضاء السمح الأفل المتجدد،استطاع الانسان بخبرته وحاجاته،وتعدد ازمنته ان يوطن لنفسه السكن فيها،فهي في تكوينها الفكري حاجات لابديل لها"[3] وقد استطاعت ان تحتل مساحة ليست بالقليلة في تجربة شوقي الروائية،ولكنها أتصفت بالعدائية،وأولى تلك الغرف التي تساق لها الشخصية قسراً، هي غرفة التحقيق**"أدخلني الحجرة التي اول ما وجهني عطر فضائها الغريب عطر أثار اشمئزازي ففتحت فمي متوسلاً الهواء، الغرف الصغيرة بروائحها النتنة ثم حقائق تعاني التحريف وكشوفات تتحول الى شفرات ونداءات بعيدة"**[4] ففي هذا النص،يصف شهاب الدين حالته النفسية،في فضاء الغرفة،التي اقتيد لها جبراً من أجل التحقيق،ويستمر بالحديث عن أجواء هذه الغرف**"داخل الغرف السرية تلك بروائحها الممزوجة وروائح الموت،يغادرك حذرك ويستولي عليك رعب، الصراخ يعلو خارج الغرفة وثمة توسلات واستيقاظ، غرف مملوءة بالانتصار تنهمر دموعي، أنا أعلم أن دموع الرجل الخراب لا حساب لها"**[5] فقد ورد ذكر الغرفة هنا بعيداً عن معناها المتعارف،من كونها إحدى غرف المنزل، التي يسكنها الانسان من أجل الألفة والحميمية،وتكون محط استراحة لأتعابه اليومية،وقد تكتسب الغرف العدائية بسبب من يسكنها،**"دوما محدقة في وجه الغرفة المسدود والذي يستقر وراءه مباشرة والدي بكل جبروته وعناده،ما أن ادخل حجرة والدي حتى ينتابني إحساس بالغثيان ومحاولة الهروب"**[6] فجبروت الشخصية هو الذي أضفى العداء للمكان0

(1)رواية مدار اليم،شوقي كريم حسن،دار الحرية،د.ط،بغداد-1984: 122 0
(2)ينظر،الرواية والمكان ،ياسين النصير:20 0
(3)م.ن:74-75 0

(4)رواية كهف البوم ..ممر الياقوت:17 0
(5)م.ن:18-19 0
(6)م.ن:31 0

وما يجعل الشخصية تبغض الانتقال الذي يصاحبه تغيير في المكان،واستحسان المكان الجديد، هو ما كانت عليه في المكان القديم**"جالت عيناي،لتتفحص الغرفة التي اكتشفت صدفة أنها ليست من الطين،منذ بعيد هجرت التحديق بهذه الجدران،كانت تثير غضبي واستهجاني،بعد أن عرفت روحي اسرار الصالونات وأفرشة الندم الوفيرة"**[1] فرداءة الحال وسوء المكان السابق، يجعل الشخصية تهرب منه0

وفي رواية(فوانيس الجحيم)يصف لنا عمران المنسي الغرفة،التي وضع فيها بعد ان تم اختطافه من قبل العصابات،**"راقبت عيناي بهلع حدود الوجود،ثمة حجرة حمراء لها ثقب ملحوم بأسياخ عند جهتها المقابلة،يتسرب ضوء خافت،ثمة اناء بلاستيكي سودته القذارات، وبقايا قميص بيجامة مخططة تنز من بين ثناياها عذابات انتمائها لخربات الارواح"**[2] فالوصف في هذا المقطع،كفيل بان يوضح اي نوع من الغرف هذه، فهو مكان محاط بالغموض والخطر، وهذا ما يخلق جواً من التوتر والرهبة، ويعكس الحالة النفسية للشخصية أو تطور الأحداث0

وتزهو الغرف بحضور الحبيب،فتأنس محبوبته بوجوده،ولكن ما أن يغادر حتى يسكنها الحزن،فحزن ولادة على هجر شهاب الدين، جعل من غرفتها تابوتاً بالنسبة لها**"التفت مذعورة متفحصة أرجاء غرفتي التي تبدو لحظتئذ مثل تابوت نتن يصدر روائح غريبة تثير القرف والخنوع أتفحص سواد ملابسي وكتل الكتب المرمية بغير ما انتظام لاعنة في سري وجودها غير المبرر في مكان قرر ان يلون خلوة ساقية للمشاعر والرغبات أردت الرجوع الى حيث كنت..."**[3]

ومثلت(الغرفة)مسرحاً لحدث رئيس من أحداث رواية(خوشية)،فقد قتل شاكر عليوي المومس، التي كان يحبها،بعد مبادرتها له بالجفاء والصد،في غرفة نومها**"مددت يدي الى عبي فشهقت المرأة وهي ترى السكين الاصف اخذتُ رأسها الى صدري وبلذة غامرة دفعت النصل الى فراغ بلعومها/ أطبقت كفي على فتحة الفم/ اندفعت وأياها الى قعر الغرفة /ساد الصمت،وقفت قبالتها لاقطا انفاسي كنت تدور في أرجاء الغرفة"**[4]

وبذا فقد مارست الغرف في روايات شوقي جميعها،دور الانغلاق الهندسي والنفسي،إذ لم ألحظ بين طياتها،أية غرفة شعرت الشخصية بها بالألفة والأمان، ماعدا واحدة تلك التي حط في رحالها، عمران المنسي **"كنت اتمدد على السرير غرفة تحسن الصمت ما صادف شبيهاً لها عمري كله تجد بين طياتها الواحا من الكمنان والتوسل وخلاص عجيب من الكلمات"**[5] فاستحسانه لها لم يكن من

(1)رواية شروكية:56 0
(2)رواية فوانيس الجحيم:260 0

(3)رواية كهف البوم ..ممر الياقوت:35 0
(4)رواية خوشية:176 0
(5)رواية نباشون:101 0

استحسان الغرفة ذاتها،إنما هو ذاتي نفسي،مرتبط بعمران نفسه ،فقد شعر فيها بالراحة والأمان والاطمئنان،فكانت مألوفةً ومحببة إليه، ولأجزاء الغرفة نصيب في الروايات موضع الدراسة،فقد ورد ذكر الشباك في أكثر من موضع، **"جلست مسترخية عند حافة الشباك المطل على الشارع ،فاصدمت عيناي بقامته المديدة وثمة ابتسامة شفيفة رائعة ترفف فوق شفتيه،انفجرت رغبات الحزن في رأسي"**[1]الذي اصبح وسيلة للاتصال مع العالم خارج المنزل،حتى أنه أضفى مشاعرالحزن على الشخصية ،بسبب ذلك اللقاء الذي حدث من خلاله مع الشخصية الأخرى، و مارس الشباك دوراً ذاكراتياً**"وانا اجلس عند الشباك أتحسس تلك اللحظة التي بقيت عالقة في لب أعماقي لحظة بدا فيها شهاب الدين مثل برق شديد الوميض"**[2] ففيه ذكرى جميلة لكلثوم مع أخيها شهاب الدين،بمجرد رأته،انتابها سيل التذكر ذلك، الذي يفيض بالذكريات الجميلة والروابط العاطفية التي تحملها الشخصية0

وفي رواية (سيبندية)أصبح الشباك النافذة البصرية الوحيدة،بالنسبة للدكتورة نادية ،لرؤية المعالم الخارجية للمنزل ، بعد ان تم تضيق الخناق عليها ،فأصبحت حبيسة دارها،لذلك اتخذ دلالة رابطة بين عالمين عالم الخارج المضطرب وعالم البيت الداخلي ،**"فاندفعت الطبيبة الى الشباك مراقبة ما يحدث بعينين حذرتين، مليئتين بالوجل والارتباك"**[3] فمجرد الشعور ان شيئاً ما سيحدث تلجأ الى الشباك مباشرة للاطلاع،**"مدّت عينيها من خلل الشباك محاولة الامساك بالهدوء الذي ساد فجأة، فلم تجد سوى ثعولة غبار المسلحة المارقة بسرعة وميض الى مجهول افعالها"**[4] أي انه اصبح بالنسبة لها عينها التي ترى بها، وأصبح بذلك المكان موقع راحة مريحاً، أميناً، دافئاً، يعكس استقراريه نادية وارتباطها بجوانب معينة من حياتها، ولاتخلو الابواب من الدلالة،اذ اتخذت حجاباً حاجزاً،وسداً منيعاً يحمي الشخصية من الخطر الخارجي المحدق بها**"أفتحي الباب لا أمل لديك مادمتِ مطلوبة...نحن لانترك اهدافنا تذهب من دون قصاص.."**[5] مما يجعلها تنزاح عن وظيفتها الخاصة بالدخول والخروج من خلالها،واتخذت دلالةً للخلاص والأمل،إذ ان انفتاح الابواب يمنح النفس شعوراً داخلياً بالانشراح النفسي لمن وراءها بخلاف انغلاقها ،**"كانت الابواب تنفتح على مصرعيها أمام خطواتي لكن،شاكر عليوي ،منع ضوء الباب ،فوجدتني ثانية اسقط مدويا الى عمق قاع الفراغ، يسد الابواب والنوافذ، أمام خلاصي"**[6] ففي هذا المقطع النصي وردت الباب بصفتها رمزاً لانطلاق نحو الخلاص النفسي والتحررمما يعيق تقدمه في الحياة0

---

(1)رواية خوشية:129-130 0
(2)رواية كهف البوم ..ممر الياقوت:54 0
(3)رواية سيبندية:100 0

(4)م.ن:27 0
(5)م.ن:166 0(6) رواية خوشية:942 0
وقد يعبر الباب عن مستوى الحالة المادية لصاحبها،**"تنك الباب الأول فرد بأنين خافت أثقلته رطوبة الارض،أزاحت الباب العتيق بعنف وخرجت..."**[1] ،مما يعكس حالة الصراع الذي تعيشه الشخصية أو تواجهه، فيكون بذلك مكاناً غير مألوفٍ أو مخيف0

3-السجن:-

يعدُ السجن بوصفه عالماً مفارقاً للحرية،فيكون مكاناً معادياً للشخصية ،إذ تجبر على المكوث فيه[2]،كما يشكل نقطة انتقال من الخارج الى الداخل ،ومن العالم الى الذات، فما ان تطأ الأقدام السجن حتى تبدأ سلسلة العذبات، التي لاتنتهي إلا بالأفراج عنها[3]**"السجن المركزي يملأ قلبي قيحاً ووجعاً توسلت الصمت بالانفجار بين يدي تراجعي"**[4] فالضيق المكاني الذي يعايشه السجين ،يولد ضيقاً نفسياً،فيحرم من ابسط حق من حقوقه الا وهو حرية الحركة،**"في السجن المركزي يغدو الزمن محصوراً بين الزنزانة والمرافق الصحية والنوم"**[5] و"لعل أبرز رموز السجن،بوصفه مكاناً للإقامة الجبرية شديد الانغلاق،هي تلك المفاتيح التي تدور في أقفال الأبواب والمنافذ لكي تحجب العالم الرحب"[6]،**"كانت شفتي غرفة السجن تضغط على روحي، مأأن يحل الليل، وأستمع إلى رنين المفاتيح، وهي تلج الأبواب،أحس أن ليس ثمة دنيا غير التي نعيش،دنيا ملؤها القلق والترقب والأفعال التي تريد التقرب من الله،كانت الغرف تعذب الفراقات،وتضج بالادعية التي تتوسل الفرج"**[7]فصوت رنين المفاتيح يبعث في النفس قلقاً وانغلاقاً روحياً إضافة الى انغلاق المكان جسدياً، لذلك تلتمس الشخصية سبيل خروجها بتقربها الى الله ،ولكي تتغذى روحياً، بهروبها من عالم السجن المظلم نحو الذات الالهية،اذ يجسد فضاء السجن "موقفا إنسانيا، تتحقق فيه الصلة بين الذات وخالقها، تحققا يتيح صفائها ونقائها"[8] 0

وقد يجد البعض في السجن مكاناً ايجابياً، يتخلص به من شظف العيش الذي يعانيه خارجه، فيجد الطعام القليل، الذي يحصل عليه داخل السجن ،افضل من لا شيء، **"كان السجن بالنسبة لكثير منا مناسبة للتخلص من ضغط الجوع، ويتم الانتماء إلى مجتمع، صار فيه الغش والكذب سيداً لكل**

(1)رواية ثغيب:12 0
(2)ينظر،شعرية المكان في القصة القصيرةجداً(قراءة تحليلية المجموعات القصصية 1989-2008)لهيثم بهنام بُردى،نبهان حسون السعدون،مطبعة تموز،ط1،دمشق-2012: 103 0
(3)ينظر،بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي:55 0
(4)رواية شروكِية:35 0

(5)م.ن:38 0
(6)بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي:74 0
(7)رواية شروكَية:74 0
(8)فلسفة المكان في الشعر العربي(قراءة موضوعاتية جمالية)،د0 حبيب مونسي،منشورات اتحاد الكتاب العرب،د.ط،دمشق-2001: 99 0

شيء"[1]ولم يقتصر السجن على مصادرة الحرية الجسدية،بل يتعدى الى منع ابسط مايمكن ان يخفف عليه هذا الضغط النفسي،ألا وهي ضحكاتهم،لتضيق عليهم الخناق،**"نزلاء السجن المركزي حتى ضحكاتنا هناك معجونة بألالم والامتحان والترقب،تظل عقولنا تبصر الطرقات خلف كتل الكونكريت التي تسور أثامنا،فتهمي العيون بعصب الأحلام، ولحظة نغط في تراب الضحكات،ترتفع أفواه الاحتجاج"**[2] ولكن ما يمنح الحياة امكانية الاستمرار في هذا المكان المظلم،هو الأمل بمغادرته،**"فما الذي سيعلمنا السجن المركزي غير الاحتفاظ بعذبات الروح وهي ترنو إلى ساعات خلاصها"**[3]،ويبقى السجن بؤرة الحصار المكاني،المعبر عن حضور الموت وتسيج الذات ومحاصرتها مادياً، يعاش فيه على مستوى الجسد كفعالية حيوية[4]، وقد يرمز إلى معانٍ نفسية واجتماعية واخلاقية اعتماداً على سياق الرواية وطبيعة الشخصيات والأحداث، كأن يكون رمزاً للقيد الجسدي والحرمان النفسي او قد يكون رمزاً للعزلة والوحدة أو يمثل رمزاً للمعاناة والتضحية والتمرد والمقاومة أو رمزاً للظلم والقهر أو التحوّل والتطهير0

4-الحانة(البار):-

وهو مكان مغلق مخصص،للمشروبات الكحولية،يقصده فئة معينة من الناس، بهدف الترويج عن أنفسهم،ويذكر شاكر النابلسي ان الفضاء الجغرافي، لهذا النوع يكون ضمن الروايات، التي تعبر عن الكبت الاجتماعي،كون الخمرة يلجأ اليها الانسان العربي هروباً من واقعه المكبوت والطاعن[5] فدلالته تختلف عن طبوغرافيته المنغلقة،اذ يمارس دوراً منفتحاً ؛لكونه يمثل متنفساً للشخصيات،للهروب من الواقع المرير،**"تلك الخمارات التي باتت تثير ضجري لكني لاأجد مكاناً يأوي انهياري غيرها"**[6] وان كان معادياً من وجهة نظر دينية واجتماعية،إلا انه بات، يشكل متنفساً لأوجاعهم النفسية،**"البارات وحدها تستنطق أروحنا،وتغسل مواجعنا"**[7] 0

ومارست الحانة دوراً بارزاً في رواية(سيبندية)،فقد كان القمىء ورجاله يترددون عليها بشكل مستمر،فلا يؤدون اي مهمة توكل اليهم الا بعد دخول الحانة،**"خذني الى حانة بلقيس،اريد زحزحة اركان مناسكي بين يدي ابو بطرس وعرق الهبهب..من دون هذه المهمة لاغزو ولاأمل"**[8] **0**

---

(1)رواية شروكَية: 074
(2)م.ن:230 0

(3)م.ن:101 0
(4)ينظر، الفضاء الروائي في أدب جبرا ابراهيم جبرا:242 0
(5)ينظر،جماليات المكان في الرواية العربية،شاكر النابلسي،المؤسسة العربية للدراسات،ط1،بيروت- 1994: 222
(6)رواية قنزة ونزة:88 0
(7)م.ن:6 0
(8)رواية سيبندية:46 0

وعدت الحانة مكاناً لممارسة المغامرات، فالشخصيات **"تحط رحالها عند حانة بلقيس وضجيجها المليءبالضحكات يمشي ابو بطرس حاملا صينية اقداح مليئة بالخمرة،الفائز من يقدر على كسر الرقم القياسي الاخير،ينهار جسد القميء الى القاع،آمراً النادل بأن يضع صينية الاقداح امامه،والاتيان بثانية وثالثة وربما رابعة، يتعالى التصفيق والهتافات"**[1] حتى احتفالاتها كانت تعد فيها**"اريد احتفالاً مهيباً يتحدث عنه كل الرفاق،لاتتقاعس في اداء مهمة اللهو والفرح،اريد ان تكون حانة بلقيس انطلاقة لمباهج الحانات والملاهي الباقية"**[2] ومن هنا فقد صور الروائي الحانة،مكاناً أليفاً تقصده طبقة معينة من المجتمع، وهي الطبقة المنبوذة اجتماعياً واخلاقياً(القميء وجماعته)وتابعة للسلطة السياسية انذاك،**تدري يا عدنان السطل اشعر إني نائم طوال اليوم،وإن جئت بلقيس ونادلها استيقضت وهتفت روحي يامرحباً"**[3]حيث تقوم حياتهم على التسكع والسكر،فهم مختلفون بأفكارهم وفي نظرتهم للحياة0

5-الكنيسة والجامع:-

على الرغم من انغلاقية هذه الاماكن،الا انها تمثل هالة من الانفتاح الروحي؛لكونها دور عبادية،مخصصة للصلاة والتقرب من الله سبحانه وتعالى،**"الكنائس معاني سلامنا الروحي وهدوء أنفسنا الآخذة الى الانفجار"**[4] وقد ورد ذكر الكنيسة في رواية(قنزة ونزة)،بوصفها مكاناً ذاكراتياً لطفولة الراوي،**"ذكرني بتراتيل جوق الكنيسة التي كانت تجاور بيتنا،وهي تصدح بالرنين،ثم تتعالى الموسيقى،لخظات هدوء تدفع بي راكضاً صوب الباب الذي كان يزدحم بالوجوه،كان البعض يبتسم لهيأتي الغريبة،وشكلي المستفز ودشدادة تخب خلفي بلون الرماد"**[5] واتصفت بالألفة النفسية الذاتية بالنسبة للراوي،فهي مكان لقائه مع المحبوبة(ميري)**"كنت ارقبُ بوابة الكنيسة عليّ أبصرُ خطواتك المتعلثمة التي تخترق ضجيج المماشي، ان ثمة ميري تنتظر"**[6]

إما الجامع فيتمثل بالروايات بكونه المكان الذي آوى (داخل الهبش)،بعد قصف قريته،فروحانيته التي تلف المكان والهدوء والسكينة،مثلت تقاطبات جاذبة،لمن هو بحاجة اليها**"اطلقت لنفسي عطر الارتياح وتلفت مسحورا بهدوء المكان وسكينته،ثم مساحات شاسعة من الاخضرار والبهجة تعلوها نجوم من ذهب لامة، يشع بضوء أصفر،ببطء..فتح عينيه..متفحصا اخضرار الجدران وظلمة المحراب وسكينة الجامع"**[7] فلم يكن بيت العبادة كنيسة أكان أم مسجداً أو

(1)رواية سيبندية:121 0
(2)م.ن:125 0
(3)م.ن:91 0
(4)رواية قنزة ونزة:101 0
(5)م.ن:26 0
(6)م.ن:45 0
(7)رواية فوانيس الجحيم:95 0

جامعاً مقتصراً على استقبال المصلين أو المتنسكين لأداء الصلوات والفرائض وإنما أصبح مساحة، تعكس قيماً ومعانٍ عميقه، ترتبط بالروحانية والهوية والمجتمع، فيكون بذلك مكاناً محورياً في تطور أحداث الرواية وشخصياتها0

6-الملجأ والخندق:-

المكان الذي تلجأ اليه الشخصيات،للاحتماء من طائرات الأعداء أثناء الحروب،فهي أماكن عادة ماتكون ضيقة،وخصوصاً أوقات اللجوء اليها وقت حرب، وهذا بحد ذاته يجعل الشخصية في حالة نفسية خاصة،ولكن العلاقة الجميلة التي تجمع بين شخصيات رواية(فضاء القطرس)،(نعيم خلف)وجماعته،أضفت على المكان انفتاحيه متجاوزاً بذلك زمنهم الحربي**"قليلاً من الوقت ياجماعة ابقوا خارجاً أريد ان ابخر الملجأ لأطرد عيون الحساد عنكم حياة ،حياة كاملة نعيشها في هذه الملاجىء، هنا تجد كل شيء،الكتاب،المذياع،طيور الزجح والخضيري..."**[1] فضيقه لا يمنع من كونه مكاناً يوفر الأمن للشخصية وان كان ذلك وقتياً0

أما الخندق وعلى الرغم من كونه وسيلة دفاعية، الا ان شعور الشخصية نحوه في الروايات، جاء ملائماً لضيقه،اذ اتسمت بالعدائية **"غير ان الحرب قد بدأت واننا يجب ان نكون في صناديق الخندق نجتر سم لعابها"**[2] لكونه قد أجبر على تلك الحروب التي لاطائل من ورائها،سوى فقدان أرواح الأبرياء،ويصفها بكونها**"هذه الخنادق المثيرة للبكاء الخانقة للآمال المتوسدة طفو الاحلام"**[3]

ثانياً:الأماكن المفتوحة:-

وهي الأماكن التي تنتقل منها وإليها الشخصيات،وتكون على العكس من المكان المغلق،إذ ينماز بالاتساع والانفتاح والتحرر،فهي غير محددة بحدود إطارية،بل منفتحة جغرافياً، ويمنحها هذا الانفتاح الطمأنينة ويجعلها اكثر تفاؤلاً في مواجهة الحياة،وتمثل "حقيقة التواصل مع الآخرين والحركة والتوسع والانطلاق"[4] ،تلجأ اليها الناس عندما تواجههم ظروف معينة،أو للتخفيف من تعقيدات الحياة، وقد يلتجأ إليها البعض من أجل تغيير حياتهم العملية والاجتماعية[5]، فالحديث عن الأماكن المفتوحة انما يتمثل في المساحات الشاسعة كالبحار والانهار والمدن، أو قد تكون ذات مساحة متوسطة كالأحياء والطرق والأزقة، وحتى المساحات الصغيرة المتمثلة بالسفن التي تتحرك

(1)رواية مدار اليم:40 0
(2)رواية فضاء القطرس،شوقي كريم حسن،دار الشؤون الثقافية،ط1،بغداد- 2008: 59 0

(3)م.ن:89 0
(4)في الأدب الحديث ونقده،عماد علي الخطيب:94 0
(5)ينظر، دلالات المكان في روايات هيثم بهنام بردى،محمود ناصر نجم،مطبعة الدباغ،ط1،العراق- 2016: 114
(6)ينظر،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه(حكاية البحار،الدقل،المرفأ)،مهدي عبيدي،منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب،د.ط،دمشق-2011 :95 0

فوق تموجات البحار[1] إلا أن هذا الانفتاح الموحي بالطمأنينة، لا يكون بصورة دائمة، قد تتفاعل الشخصية مع هذه الاماكن تفاعلاً سلبياً، ويمثل الانسان حلقة وصل بين الاماكن المفتوحة والمغلقة،فهو بطبيعته غير المستقرة يميل الى التحرر والانطلاق، فينتقل من المغلق إلى المفتوح وبالعكس، وقد تنوعت الأماكن المفتوحة بأفقها الواسع في روايات شوقي كريم بين المدينة التي هرب نحوها، والبحر والأهوار، التي ولد فيها والشوارع والطرق وغيرها0

فالمدينة بشوارعها وأزقتها،جاءت محملة بدلالات سلبية على الرغم من انفتاح فضائها،"وتتكرر هذه الصورة السلبية حتى توشك أن تصبح العصب الرئيس الذي يحكم دلاتها "[2] فالروائي يعيش في حالة قلق وجودي في المدينة التي يسكنها،لكونه"يعيش حلماً دائماً يفتش عن مدينة في أنماط حياتها وتكوينها الحضاري والبشري ويطمح أن يخلصه تحقيق ذلك الحلم من المشكلات الكثيرة السائدة في حياة مدنهم[3]،**"أفكر بالرحيل،لابد من مدينة تحتضن أحلامي، مدافن مكاننا هذه لا تصلح للبقاء،مالذي يجبرنا على البقاء هنا، لاشيء سوى القلق وحكايات ماسخة وأكاذيب نلوكها كل ساعة، ننتظر الفراغ ونعيش في فراغ"**[4] فبسبب الجوع المسيطر والفراغ؛ نتيجة عدم وجود اي عمل يساعدهم في سد رمق حياتهم،جعلهم يفكرون بالرحيل الى مدن أخرى،**"في مدينتي الجوع ركب فوق ظهور الجميع صيرهم حميراً يمشون دون معرفة.."**[5] إلا انه لم يجد ضالته في تلك المدن،فيعيش الرفض والتهميش"**كانت الدينة التي تأويني تكره أنتمائي اليها،مدينة صاخبة تعشق الهوامش،لا تمنح الغرباء غير هوامشها"**[6]

لذلك تواجه الشخصيات تلك المدن بالعداوة والنفور"**المدن التي جبت ازقتها وشوارعها، وانتهكت حرمات حاناتها ومباغيها، سلعة زائدة، ترفض وجودي،تعتقدني سلعة زائدة، لامبرر لوجودها بين طيات تلك الحضارة"**[7] فقد ترتدي المدينة ثياب الشدة وملامح القسوة التي لاترحم البطل، الامر الذي يجعله يفكر بالرجوع إلى المدينة التي أوت طفولته"**خربتني المدن،دمرت مباهجي قتلت أحاسيس تأملي،فجئت ابحث عما يعيد إنساني إلي"**[8] فالرفض والنفور وتشظي الذات، الذي جابهه في تلك المدن، جعله يحن إلى بيئته الأولى، بعد هروبه منها "**المدينة التي احب**

(1)ينظر،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه(حكاية البحار،الدقل،المرفأ)،مهدي عبيدي،منشورات الهيئة السورية العامة للكتاب،د.ط،دمشق-2011: 95 0
(2)بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي:91 0

(3)ترييف السرد(خطاب الشخصية الريفية في الادب)،فاتح عبد السلام،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1،بيروت-2001: 73 0
(4)رواية نهر الرمان ..تجربة موت:8 0
(5)م.ن:129 0
(6)رواية قنزة ونزة:78 0
(7)م.ن:30 0
(8)رواية شروكَية:212 0

الشارع الضاج بالأماني الدخان الذي يملأ الصدور بالسعال، والإناث المشتهيات لبساطة القول هناك أجد نفسي أكثر صدقاً)[1]، يتضح وفقاً لما تقدم، إن الروائي قد تناول المدينة، من منطلق الريفي المهاجر نحو فضائها الرحب،إلا أنها تكون منغلقاً نفسياً اتجاهه،إذ لم يحظ ببغيته فيها،لذلك جاءت المدينة في رواياته، بصفتها مدينة غامضة الملامح من الناحية الجغرافية، وغير محددة الهوية،إلا إن الأمر مختلف في رواية(فضاء القطرس)،فكان عدائياً معها ،إذ أرتبط ببعد نفسي ذاتي،وقد وردت حاملة لجدل العلاقة المتأرجحة بين أبويه،فهيام أبيه بامرأة من المدينة،وعذاب أمه وبكاؤها الصامت، جعله يكنّ العداء لتلك المدن،**"هيام أبي بإمراءة حضارية وشلت حياتها فالتصقت به أمي،وجدتها ونبضات قلبها المجفلة وبكاءها الصامت الطاعن في السن احاول العصف بكل هذه المدن ادمرها لأخلق مدني شمسي اشجار الزان والصفصاف والزرازير مدن لاشرطة فيها ولامخافر ولا اباء يهاجرون نسائهم"**[2] 0

ولا تخلو شوارع وازقة المدينة، من هذه النظرة السوداوية،**"ضيق الشوارع، وهدوءها وأحاسيس النداءات الناعمة مثل طحين الصفر،أضرب على حافة الحديد البارد، تأخذني الشوارع إلى الأزقة،والأزقة إلى الشوارع يدور عمري بين الاثام،وأتكىء باحلامي الى جدران الضجر والبكاء،تطويني فرغات الشوارع"**[3] ويتوغل شوقي في شوارع تلك المدن وازقتها كثيراً،ليصفها لنا**"شوارعها المتشائمة تشعر بانهيارات الذات دون ان تتمكن من بناء استحكاماتها، لا استقرار، ولا رضا داخلي، شوارع متسخة وازقة اثقلتها اقدام العنف،مدن حاضرة تضيف الى الوجوه معالم حزن جنائزي،تبديد للوقت،وجراح تشعرك بالأشمئزاز والقشعريرة"**[4] وبذلك تكون-أي الشوارع-رمزاً لانقطاع الاتصال مع الآخرين أو فقدان الروابط الاجتماعية لما تشعر به الشخصيات من فقر وتهميش وضياع وتشتت وكأبة وتشاؤم0

وقد ارتبط الزقاق في رواية(خوشية)بذكريات الماضي، وذلك عن طريق فعل اعتادت ممارسته**"كنت في مرات ذهابه السابقة أرقبه يتلفت ما ان يصل نهاية الزقاق،لكنه هذه المرة أخترق صمت الزقاق مسرعاً دون أن يتلفت صوبي، رغم معرفته أني أرقبه عند باب الدار،تنهدت نفسي زعلاً فأقفلت الباب، وبصخب إنفجرت أعماقي بسيول هادرة من الدموع"**[5] فرؤية الزقاق أثارتلك الذكريات المدفونة في أعماق الزوجة،بعد ان توفى زوجها0

واتخذ الزقاق في رواية(قنزة ونزة)بعداً دلالياً، بوصفه رمزاً للغدر وسلباً للأرواح،إذ جعلت منه

(1)رواية قنزة ونزة:20
(2)رواية فضاء القطرس:78
(3)رواية شروكَية:16
(4)رواية فضاء القطرس:42
(5)رواية خوشية:93

العصابات الارهابية، موطناً لخطف كل من يمر خلاله **"كان ضوء الزقاق قد شع بخفوت تصاعد رويداً، ثمة ضحكات تعالت مستبشرة، قال أحدهم...يا له من صيد ثمين؟"**[1]، ففيه تم اختطاف بطل الرواية ومن ثمة قتله0

2- البحر:-

يتصف البحر بكونه ،مفتوحاً على العالم الخارجي ،اذ تنماز جغرافيته بالانفتاح والاتساع على مديات لانهائية،وغير مرئية، ففي اتساعه وغموضه وانفتاحه ورهبته حمولات دلالية[2]،إذ يشكل امتداداً لوجود الانسان، وموطناً لتفريغ آلامه،مثلما اتخذهُ بطل رواية(قنزة ونزة)،**"أخذتني الظلمة الى قلب الظلام،**والظلام **الى قلب المجهول،حاولت الانتصار على نفسي أولاً،لكنها خذلتني،بل وجدتني أتحول بشيء من إليأس والارتباك،الى مجرد لوح لامكان لهُ،تلك اللحظة أيقنت إن البحر يمكن أن يكون منقذاً"**[3] فحالة التخبط والتيه،التي تعيشه الشخصية،يجعلها تتخذ من البحر،أنيساً يألفه،كلما ضاقت اموره،**"البحر يمنحني الكثير من الامال..الكثير من الفرحة،والارتياح لهذا ماعدتُ أصدق أن هناك أرض..ونساءٍ...كل ما أريدهُ أستدعيتهِ لوحدي،فأجدهُ واقفاً أمامي بكل إجلالٍ احترام"**[4] لذلك اصبح المعبرعن حالة الشخصية النفسية والاجتماعية وحينما أراد التخلص من عذاباته،كان البحر وسيلتهُ لذلك**"فكرتُ مرةً،بأن القي بنفسي الى لجج البحر،كنت أجدهُ المنقذ الوحيد لخلاصي"**[5]،بناءً على ماتقدم ذكره يتبين ان البحربوصفه مكاناً مفتوحاً،عكس الواقع النفسي للشخصية،اذ عدهُ رمزاً للسكينة والطمأنينة،بعد ان اتخذهُ المتنفس الوحيد لعذاباته**"البحر وحده من يستحوذُ على كل رغباتي،حين أقتعد الوحشة بعد منتصف الليل،أجدُ ان ثمة ما يأخذني الى هدوءٍ شاملٍ"**[6] فنجده يحمل دلالات رمزية غنية ومتنوعة يعبر عن جوانب متعددة من النفس البشرية والصرعات الداخلية، فهو يرمز إلى الحرية والانطلاق ويعبر عن العمق والغموض لما يكتنفه البحر من اسرار وقد يمثل حياة وموتاً كونه مصدراً للحياة عبر ارتباطه بالخصوبة والصيد0

3-المقهى:-

مكان اجتماعي مفتوح،يأوي إليه الانسان،ويقصده مختلف الفئات الاجتماعية،لشرب الشاي أو القهوة،وتبادل اطراف الحديث مع الأصدقاء،وتتمثل بكونها أماكن انتقالية،كما يصفها حسن بحراوي[7]، وقد ورد في رواية(مدار اليم)، وذلك في الحديث الذي جرى بين نعيم خلف ووالده، بعد

(1)رواية قنزة ونزة:21 0
(2)ينظر،خطاب الرواية النسوية العربية المعاصرة،رفقة محمد دودين:335 0
(3)رواية قنزة ونزة:128 0
(4)م.ن:122 0
(5)رواية قنزة ونزة:116 0
(6)م.ن:105 0
(7)ينظر،بنية الشكل الروائي،حسن بحراوي:91 0

عودته من سوح القتال**"في المقهى نتحدث دائماً عن أخباركم، نتفاخر بما تقومون به،في المقهى كثيراً ما تنزلق نظراتي بمتعة صغيرة أتابع حركات فتاة تمر أمامي متهادية، اتمنى لوكانت زوجة لأخيك،او شبيهة لملاكك الصغير صبرية"**[1]فالمقهى مارس هنا دوره الاجتماعي، المتمثل بالتفاعل الملموس مع أهالي القرية، وتبادل أطراف الحديث عن دور أولادهم في المعارك، وتفاخرهم بمواقفهم البطولية0

ويتمثل المقهى في رواية (خوشية)،بصفته نقطة الانطلاق لأحداث الرواية،والمكان الذي مثل نقطة التحول في حياة منصور شعلان**"يوم التقيته عند المقهى المطل على النهر لأول مرة/نظر إلي بعينيه الصافيتين مثل قدح ماء ومسد شاربيه الكثين/الموسومين بدقة شاربي الحلاق، ناولني سيجارة وأشار الى عامل المقهى الذي بدا وكأنه ينتظر اشارته ليضع قدح الماء أمامي،وأنسحب مبتسما دون أن يتفوه بشيء أرثت السيجارة،وارتشفت الشاي مستحسنا طعمه"**[2] ففي هذا النص يحدثنا منصور عن اللقاء الذي حدث مع المرشد،من أجل دعوته للانضمام الى المنظمة، فجاء محملاً بدلالات متعددة مرتبطة بالسياق الاجتماعي والثقافي والنفسي للشخصيات، وكان مكاناً للقاء والتفاعل وملاذاً للتأمل 0

4- الحديقة العامة:-

مكان عام ينماز بفضائه الرحب،يرتاده الناس من أجل تمضية وقت الاستراحة،والتمتع بالأشجار والأزهار والحشائش،ومن أجل الهدوء والراحة النفسية،ويتصف بالألفة[3] يلجأ اليه الانسان،من أجل الجلوس لوحده شارداً،مستذكراً ذكرياته المفرحة او المحزنة،ففي رواية(قنزة ونزة)وبعد هروب بطل الرواية من أرض المعركة،الى بلاد الغرب،لم يجد مكان يأويه،لذلك يتخذ من الحديقة مسكناً له**"التصقت مواجعي بألفة الحديقة العامة التي اتخذتها مسكناً لأشهر عدة،أبصر أسراب الطيور وهي تحط عند الاكف المدودة وما تلبث أن تطير طاشة جذالها فوق الرؤوس الصغيرة اللامعة بلصف الذهب،اغمض عيني طويلاً.."**[4]لذلك مثلت الحديقة بالنسبة له شريان الحياة في تلك البلدان**"كانت الحديقة العامة تضم ارتجافي الى قيء برودتها،مقاوماً الليل الغادي أبعد من القمر الذي اضاعني،وأضعت ألوانه وبهجته"**[5] تمده بروحها،فيتوسدها ليهمس اليها بإسراره،يستذكر غربته**"حين أتوسد ثيل الحديقة العامة وأنا اراقبُ غربتي تتقافز أمامي مثل قردٍ مخبولٍ،تفيضُ روحي وجداً..أظمئتني الدنيا فلما جئتها...مستسقيا مطرت علي مصائباً"**[6] فانفتاح

(1)رواية مدار اليم :106-107 0
(2)رواية خوشية:15 0
(3)ينظر ،جماليات المكان في قصص سعيد حورانية،محبوبة محمدي محمد ابادي:35 0

(4)رواية قنزة ونزة:30-31 0
(5)م.ن:166 0
(6)م.ن:53 0
المكان، وجمال طبيعته، وهواءه النقي، يمد الشخصية بالأمل للاستمرار بالحياة، وبالذات التي تكاد تفقد معاني الحياة0

5 -الهور:- تتصف الأهوار بخصوصية مكانية،ذات طبيعة جغرافية مفتوحة،حيث البيئة المائية المتسعة،و**"البيوت الهائمة فوق سطح الماء"**[1] وقد مثل الثيمة الأساس للعمل الروائي في رواية(مدار اليم)،فأحداث الرواية تدور حول عريف في الجيش العراقي(نعيم خلف)،الذي يعيش في الأهوار**"الهور ليس غريباً،عليك أنت الذي تربيت بين أحضانه"**[2] الا انهُ يصاب بجراح في إحدى المعارك وهو داخل المياه في الأهوار،بعد تكليفه بواجب مهم،الأمر الذي يؤدي الى استشهاده **"وها أنا ذا وحيداً،أموت في ظلمة هذا الهور دون أن يحمل هواءوه أريج انفاسي الى من أحب،اموت ويختنق معي سري"**[3] فيصف نفسه وهو وسط المياه وحيداً،يعاني آلاماً مع استمرار نزيف جراحه**"وها أنا أعيش وسط الهور، يلفني الماء من جميع الاطراف، وحيد مع نزف دموي لاينقطع اثرثر مع نفسي كالمجنون"**[4] فعلى الرغم من ألفته معه،كونه عاش وترعرع بين أحضان الاهوار **"من وسط الهور وأنا ربيبة"**[5] إلا أنه يضيق عليه الخناق،فيضيع في دوامة لجه،فالاستلاب الروحي الذي يمارسه الهور هنا،يجعل منهُ ذا دلالة رمزية**"أنا نعيم الخلف، استسلمت لموتي في هذا الهور،غلبني هذا الجبار،ها انا ذا أقدم نفسي قرباناً له"**[6]فالقسوة التي مارسها الهور بحق نعيم خلف،المتمثلة بسلب روحه،لم تمنعه من ان يقدم روحه قرباناً له لفرط حبه لبيئته،لذلك اصبح الهور مكاناً مفتوحاً غير آمن،عكس الواقع النفسي وما تعانيه الشخصية في مرتع المياه0

رانّ من الواضح في روايات شوقي كريم حسن الهيمنة السردية،للأماكن المغلقة،قياساً إلى الأماكن المفتوحة،التي كانت هي الأخرى،تمارس في أكثرها دلالة منغلقة،وهذا عائد الى طبيعة الروائي نفسه،فهو ذو طبيعة سلبية لكل ماحوله،ربما ذلك مرده إلى كل ما تعرض له في حياته من ويلات وسجون واضطهاد**"تزيل يدي جدار الرحم،ولحظة تلفحني ريح الكون،تشعر نفسي ضيقاً وتصطدم عيناي بظلمة المكان،وما إن أفتحها حتى يطالعني جدار صدر امي،وجدار الكاروك الذي أنام فيه،وجدار العصبة التي يلمون رأسي بها،وجدار الغرفة التي يعيش أهلي في نهارها،وجدارالمدرسة والفصل وجدار الكتاب وجدار التقاليد و."**[7]فالضيق هنا إنما هو وجودي، فهو قد أنتصر في رواياته للمظلومين والمضطهدين،والمغادرين قسراً من ابناء الجنوب،من أجل ابرازمظلوميتهم،لذا فقد حدد المكان نوعية الفعل،فجاء معبراًعن تفكير الشخصية،ووضعها الاجتماعي والنفسي0

(1)رواية شروكَية:19 0
(2)رواية مدار اليم: 031
(3)م.ن:46 0
(4)م.ن:64 0

(5)م.ن:119 0
(6)م.ن:116 0
(7) رواية شروكية:44 0